الثورة الثقافية الصينية

1966-1976م

بدئت أولى بوادر التخبط الشيوعي في الصين بين قادة الحزب الشيوعي مع حملة المائة زهرة والتي انطلقت بين عامي 1956–1957، اذ شجع ماو تسي تونغ المثقفين من خارج الحزب على التحدث دون خوف عن الشئون العامة وانتقاد الحزب الشيوعي، وذلك لثقته المفرطة في التحول الاشتراكي للبلاد. وفي البداية تردد العديد من المثقفين، الا انهم استجابوا لنداء "دع الف زهرة تزهر"، فاظهروا عن كم الاستياء والمرارة التي تجاوز توقعات الحزب، فتخلى القادة عن ليبرالية المائة زهرة في تغيير سريع ومفاجئ للمسار، واتجهوا الى حملة مضادة شرسة على اليمينيين في عام 1957، الامر الذي أدى الى تصنيف مليون مثقف كعناصر يمينية، وفقد الاغلبية وظائفهم، وارسل بعضهم الى معسكرات الإصلاح الزراعي[1].

وخلال مرحلة البدء بتنفيذ الخطة الخمسية الثانية طرح الرئيس ماو في أيار 1958 مشروع "القفزة الكبرى الى الامام" الذي اصبح يطلق على الخطة الخمسية برمتها، وبعد ان اقر المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي هذا المشروع، اصبحت اللجان الحزبية في القرى والارياف هما المحرك الفعلي لتعبئة الجماهير واطلاق الحملات الجماهيرية من اجل تنفيذ المشروع. وخلال الأشهر الأولى حدث تقدم ملموس على مستوى الإنتاج الزراعي والصناعي، وتم استحداث مشاريع عدة للري وبناء بعض السدود والخزانات البسيطة والبدائية. لكن مع بداية عام 1959 اخذت المحاصيل في التناقص وتوقفت الاعمال الانشائية وبدأت المجاعة تنتشر في البلاد[2] بسبب انهيار الإنتاج الزراعي في العديد من الأقاليم، واسفرت الامراض وسوء التغذية عما يقرب من 20–30 مليون حالة وفاة بين عامي 1960–1961، وقد عدت هذه المجاعة بالمجاعة الكبرى في القرن العشرين[3]. وبسبب الانتقادات التي وجهت لماو من داخل الحزب بعد ظهور البوادر الأولى لفشل المشروع بسوء الإدارة، وطموح المشروع المبالغ، قرر الرئيس ماو ترك منصبه في 1 تشرين الأول 1959، لصالح ليو شاو شي، واكتفى بمنصب رئيس الحزب الشيوعي الصيني وقائداً للثورة، وتقرر الغاء مشروع القفزة الكبرى عام 1960[4].

---

[1] ريتشارد كيرت كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ترجمة شيماء طه الريدي، مراجعة محمد إبراهيم الجندي، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص17.

[2] سها عادل عثمان البياتي، ماوتسي تونغ ودوره السياسي في الصين (1921–1976)، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2014، ص171– 173.

[3] ريتشارد كيرت كراوس، المصدر السابق، ص18.

[4] سها عادل عثمان البياتي، المصدر السابق، ص173.

وتزامنت مع تفاقم حالة الطوارئ الاقتصادية في البلاد، انهيار العلاقات الصينية السوفيتية، فبعد ان كانت يوماً ما الأخ الأكبر في الاشتراكية، صار السوفييت يشككون في اتخاذ الصين مساراً تنموياً مستقلاً، واختفى التعاون العسكري لاسيما في المجال النووي وذلك خوفاً من احتمالية صنع عدو محتمل الى السوفييت، وفي عام 1960 استعاد السوفييت (600) مستشار فني، غادروا الصين وتركوا مئات المشاريع الصناعية غير المكتملة، تاركين الرفاق الصينيين في موقف عصيب. ولكن ربما هذه التوترات مع السوفييت قد قوت من قبضة ماو من خلال اذكاء القومية الصينية[1].

خاضت الصين تجارب مستميتة لاصلاح الدمار الاقتصادي الذي خلفته القفزة الكبرى، فخفف القادة المحليون من تعصب قفزتهم الكبرى ضد الأسواق الريفية المدرة للربح من اجل تحفيز الإنتاج الغذائي. وتم التخفيف من الاشراف على الأنشطة الثقافية؛ اذ قام الحزب بتشجيع ورعاية الخبراء والمثقفين الذين كانوا قد عاقبوهم مؤخراً. وكان الحزب يقود الامة لنسيان السنوات العجاف 1959، 1960، 1961، فقد كان الرئيس ليو شاو شي والأمين العام للحزب دنج شياو بينج يؤيدان الإصلاحات، والتخفيف من قبضة الحزب، ووضع نظام ثقافي اكثر ليناً. فلم يتقبل ماو واتباعه هذا التحرر بسهولة، وراحوا في المقابل يدعمون العمل السياسي للحيلولة دون تخلي الصين عن ثورتها.

ومنذ عام 1962 وحتى 1966 نظم ماو واتباعه العديد من البرامج النموذجية التي أصبحت تعرف فيما بعد بالثورة الثقافية، فتم الاعداد لـ (الكتاب الأحمر الصغير) الذي يتضمن مقتطفات من اعمال ماو تسي تونغ، بواسطة الجيش عام 1963 لنشر القيم الراديكالية بين الجنود[2].

يتضح مما سبق انه يوجد هناك تراكمات اجتماعية واقتصادية وسياسية عانى منها الشعب، فضلاً عن الحزب الحاكم، وهذه التراكمات جعلت الشعب يتقبل بسرعة فكرة الثورة الثقافية وتطبيقها، وانها كانت الممهد للسبب المباشر لاعلان الثورة الثقافية من قبل ماو تسي تونغ.

بدأت بوادر الثورة الثقافية في 11 تشرين الثاني عام 1965، من خلال مهاجمة مسرحية بعنوان "اسقاط هاي جوي" التي كتبها ووهان مساعد عمدة مدينة بكين وعرضت في شنغهاي،

---

[1] ريتشارد كيرت كراوس، المصدر السابق، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص20.

وبدعم من بنغ تشن رئيس بلدية بكين ونائب المدير التنفيذي لسكرتارية اللجنة المركزية، وعضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الصيني، والحليف المقرب جداً الى الرئيس ليو شاو شي والأمين العام للحزب الشيوعي الصيني دنغ شياو بينغ، كانت هذه المسرحية تخفي افكاراً سياسية ضد ماو، الامر الذي أدى الى ان اصبح الكاتب ووهان الضحية الأولى في حرب ماو تسي تونغ وعده ماو خصمه في الحزب الشيوعي الصيني والدولة من خلال تنديد ماو بالمسرحية ومؤلفها.

بدأت جيانغ تشينغ زوجة ماو بتنظيم حملة انتقادات ضد الدراما التاريخية، لاسيما مسرحية (هاي جوي)، وكان من اهداف الحملة القضاء على النزعات الرجعية في الثقافة الصينية. فارسل ماو زوجته الى شنغهاي لنشر مقالة له بعد ما رفض نشره في بكين. فعمقت قضية ووهان الانقسامات التي كانت قد بدأت في داخل الحزب الشيوعي الصيني نفسه، وبين الحزب وجيش التحرير الشعبي الصيني، فقامت جيانغ تشينغ في المرحلة بدور بارز من خلال شجبها الرجعيين والتحريفيين لمنع الانقسامات داخل الحزب، كما حثت على اتخاذ خطوات لإزالة الرئيس ليو شاو شي، وتطهير الثقافة الصينية من هؤلاء الفنانين والكتاب.

كان المجتمع الصيني يتميز بعدم التوازن الثقافي، فالمثقفون والمتعلمون يتركزون في المدن، اما اغلب سكان الريف هم من الاميين والكسبة وأصحاب الاعمال اليدوية، لذلك قرر الرئيس ماو تسي تونغ وضع حداً لهذا التفاوت في المجتمع. فوجه رسالة الى زميله في الحزب لين بياو والى اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي في 16 أيار عام 1966، جاء فيها انه يجب القيام بثورة ثقافية كبرى داخل المجتمع الصيني، تهدف الى إيصال التعليم الى الريف، وتحقيق الاندماج بين المثقف والعامل، فضلاً عن القضاء على بعض العناصر داخل الحزب، وهم –حسب رأي ماو تسي تونغ– بدئوا يتراجعون عن النهج الشيوعي، اذ وضح في رسالته: "[illegible][1]".

[1] البروليتاريا: مصطلح سياسي يُطلق على طبقة العمال الأجراء الذين يشتغلون في الإنتاج الصناعي ومصدر دخلهم هو بيع ما يملكون من قوة العمل، وبهذا فهم يبيعون أنفسهم كأي سلعة تجارية، وهذه الطبقة تعاني من الفقر نتيجة الاستغلال الرأسمالي لها، ولأنها هي التي تتأثر من غيرها بحالات الكساد والأزمات الدورية، وتتحمل هذه الطبقة جميع أعباء المجتمع دون التمتع بمميزات متكافئة لجهودها، وحسب المفهوم الماركسي فإن هذه الطبقة تجد نفسها مضطرة لتوحيد مواقفها ليصبح لها دور أكبر في المجتمع، موقع عين الجمهورية http://rep-eye.com/family/153

[illegible]

ويتضح من قراءة بعض ما جاء في الرسالة ان هدفه واضح وصريح وهو القضاء على المثقفين الأكاديميين الذين يرومون الى التغيير، كما أراد تعليم وتثقيف الاميين من أبناء الريف بالثقافة والتعليم الشيوعي للوقوف فيما بعد بوجه الطبقة البرجوازية والتي اطلق عليها بالرجعية.

وبناءً على دعوة ماو تسي تونغ أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في 8 اب 1966 قرار يقضي بتبني (الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى)، وحدد في القرار ان القوة الرئيسة للثورة هي: جماهير الفلاحين، العمال، الجنود، المثقفين الثوريين، والكوادر الثورية. وان أفكار ماو تسي تونغ هي المرشدة للثورة الكبرى. وعلى اثر هذا القرار قامت الحكومة الصينية بوقف الدراسة مؤقتاً وإعادة تشكيل المدارس واعداد المناهج الدراسية وارسال الطلاب والمعلمين والفنانين والمثقفين والأطباء للعمل لفترة معينة داخل المزارع والحقول، ومنعت الأجهزة التعليمية كافة التي كانت تستورد من الغرب، واعيدت هيكلية الجامعات والدوائر الحكومية، وتم تشجيع الطلاب للالتحاق بالمدارس المهنية المختصة في مجال الزراعة والصناعة[2].

ومن الجدير بالذكر ان هذه الثورة مختلفة عن جميع الدعوات التي اطلقت؛ فهي موجهة ضد الحزب الشيوعي الحاكم نفسه، لذا اتجه ماو الى الاستعانة بحلفاء جدد من خارج الحزب، فاتجه بشكل خاص الى الطلاب الذين استجابوا بتكوين منظمات "الحرس الأحمر" العشوائية والتي كانت متلهفة لمواجهة قادة الحزب المحليين، والمعلمين، واي شخص تقريباً في موقع سلطة. في ظل مجتمع مستبد يقل فيه التعبير عن الرأي صراحة بلا خوف، وشجع ماو المراهقين على مهاجمة اعدائه.

وخلال عام 1966 قام الحرس الأحمر والمتمردون الثوريون باضطرابات ومآسي ضد المسؤولين من الحزب الشيوعي الصيني والسياسيين والعسكريين ومختلف فئات المجتمع الصيني. اما جيش التحرير الشعبي الصيني فكان موقفه متذبذباً من الثورة الثقافية، الامر الذي أدى الى ان أصدرت في 5 أيلول 1967 اللجنة المركزية ورئاسة الوزراء، ولجنة الشؤون العسكرية المركزية لجيش التحرير الشعبي الصيني، ومجموعة الثورة الثقافية، مرسوم وقعه ماو

---

[1] سها عادل عثمان البياتي، المصدر السابق، ص 177-178.

[2] المصدر نفسه، ص178.

رسمياً من اجل احياء السلطة في البلاد من خلال تشكيل جيش التحرير الشعبي الصيني الذي عد الوعاء المركزي للسلطة، لاستعادة النظام، وانهاء الصراعات الفئوية، وحثت فيه الفصائل اليسارية المتنافسة بوقف الصراع فيما بينها، ودعتهم الى دعم الجيش من خلال حملة وطنية كبيرة، لان الجيش أداة التحكم الفعالة والوحيدة في الصين القادرة على ضبط الأوضاع الداخلية[1].

في هذه المرحلة دخلت الثورة طورها اليساري، ووصلت الفوضى الى درجة كبيرة، اذ هاجم الحرس الأحمر السكك الحديدية، بنصب كمائن للقطارات التي كانت تنقل الامدادات السوفيتية الى فيتنام، ونهبوا الذخائر العسكرية، ودمروا المدن، وقطعوا التيار الكهربائي، وقاموا بالسطو على المصارف، وسرقوا السيارات واحرقوها، وخرجت الأمور عن سيطرة ماو الذي حاول تهدئة الحركة، ثم حدثت مواجهات عنيفة بين لجان الحزب والحرس الأحمر، واشتعلت بؤر الحرب الاهلية في كبرى مدن الصين مثل تشانجشا، وكانتون. وقاموا بسجن وتعذيب وقتل بعض رموز الصين المبدعين والمتجددين، عندها حاولت السلطات استعادة النظام.

ونتيجة للفوضى التي عمت البلاد ظهر خطر جديد، اذ برزت الطبقة العاملة الصينية قوة مستقلة في السياسة الصينية، وتكون هذه المرة الحرس الأحمر من عمال المصانع، الذين قاموا باضرابات ومظاهرات للحصول على مطالبهم الخاصة فبدأت موجة الإضرابات تجتاح مدن الصين كلها واستمرت قرابة ستة اشهر[2].

مع بداية عام 1968 تدخل الجيش لاستعادة النظام لاسيما المناطق التي شنت فيها فصائل الحرس الأحمر حرباً أهلية محلية، وفي العام ذاته بدأت التغطية على الجانب الوحشي للسياسة الجماهيرية بشكل جاد، وفي الوقت ذاته كانت حركة تطهير المسؤولين المحافظين و (اتباع الطريق الرأسمالي) وعلى رأسهم الرئيس ليو شاو شي قد انتهت. الا ان استمرار الصراعات بين منظمات الحرس الأحمر والمتمردين ظل فوضوياً، الامر الذي أدى الى تعطيل الاقتصاد، فضلاً عن الضغوط الخارجية؛ اذ ازدادت حدة التوترات العسكرية مع الاتحاد

---

[1] فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، سعي ماو تسي تونغ لتنظيم إدارة جمهورية الصين الشعبية (ا كانون الثاني–كانون الأول عام 1969)، حولية المنتدى، الإصدار 35، المجلد 1، المنتدى الوطني لابحاث الفكر والثقافة، 2018، ص511.

[2] فاطمة جاسم خريجان، تدهور العلاقات السوفيتية–الصينية خلال الثورة الثقافية الصينية، اوروك للعلوم الإنسانية، العدد 2، المجلد 7، جامعة المثنى، 2014، ص66–67.

السوفييتي، هذا من الجبهة الشمالية، اما على الجبهة الجنوبية فكانت الولايات المتحدة الامريكية تصعد هجومها على فيتنام. فاتخذ الماويون المنتصرون إجراءات عدة لاستعادة النظام:

1-اجبار المنظمات الراديكالية المتنافسة على التوحد، فقد اسند للجيش دور سياسي جديد، اذ قام الجيش بتدعيم اللجان الثورية الجديدة والهيئات الإدارية المحلية التي اعتمدت على تحالف ثلاثي بين الناشطين الثوريين، والبيروقراطيين اليساريين، والقادة العسكريين، وقام القادة العسكريون بدور الوسيط في التدابير المحلية في كل الأقاليم.

2-ارسال الحرس الأحمر الى الريف للاشتغال بالزراعة، وإعادة تأهيلهم، الامر الذي أدى الى اخلاء الساحة السياسية باجبار الحرس الأحمر على تقوية انفسهم من خلال الحياة والعمل مع الناشطين القرويين.

3-اطلاق حملة سرية لتطهير الرتب العليا الذين لم يكن مرغوباً فيهم في القيادة الماوية، وهذه الحركات التطهيرية هي الجانب الأعنف للثورة الثقافية، لكن بنوع من الغموض والسرية[1].

وبحلول شهر أيار 1968 ارسل الى المناطق الريفية اكثر من (17) مليون من الحرس الأحمر والشباب المتعلم الذين تتراوح أعمارهم بين (14-23) عام، وفي محاولة لكسر الحرس الأحمر التي فشلت في حل نفسها، قام الجيش بسحقها مع مزيد من إراقة الدماء، وهكذا انتهى الحرس الأحمر، فشهد ذلك انهيار كبير في موقف اليسار النهائي بمحاولة الاستيلاء على السلطة. وفي نهاية كانون الأول 1968 هزم اليسار الثوري المتطرف، وكانت المرحلة الأخيرة من الثورة الثقافية بتوطيد السلطة السياسية والعسكرية والقضاء على مؤسسات اليسار المتطرف، وأصبحت الحكومة الصينية تحت سيطرة ماو، وبالنتيجة عاد ماو الى موقفه المحافظ، واستخدم جيش التحرير الشعبي الصيني لمحاربة اشكال التطرف كافة[2].

وفي 1 نيسان عام 1969 انعقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الذي كان ايذاناً بإعادة تنظيم الوضع السياسي في الصين بعد نهاية الثورة الثقافية عام 1969، اذ اعلن ماو في بداية المؤتمر عن نهاية الثورة الثقافية رسمياً، وانتخب رئيساً للجنة المركزية للحزب بالاجماع، واعلن عن

---

[1] ريتشارد كيرت كراوس، المصدر السابق، ص24-25.

[2] فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، سعي ماو تسي تونغ لتنظيم إدارة جمهورية الصين الشعبية (ا كانون الثاني-كانون الأول عام 1969)، المصدر السابق، ص512.

تعين رفيقه لين بياو الذي كان وزير الدفاع خليفة له ونائباً للرئيس، وعين شو ان لاي بمنصب الأمين العام للحزب، وانتخب (176) عضواً في هيأة الرئاسة، وهذا الامر مثل ائتلاف غير مستقر من العناصر اليسارية المتطرفة والمعتدلة والعسكريين. وهذه النخبة الجديدة للهيأة المركزية للحزب تكونت من القوى السياسية الثلاث: الجيش 44%، المنظمات الجماهيرية 29%، والقيادات الحزبية القديمة 27%.

قدم لين بياو في يوم 14 نيسان عام 1969 تقرير سياسي لخص فيه نشأة وتطور المنظور المستقبلي للثورة الثقافية، من خلال خطابهِ في التعامل مع الشؤون الداخلية للصين، ومناقشة الكيفية التي ينبغي أن تكون فيها الثورة الاشتراكية، والإفادة من تجربة الثورة الثقافية. واهم ما طرح في التقرير ان الثورة الدائمة مستمرة داخل الصين ولكن بطريقة اكثر تنظيماً حتى تحقيق النصر الكامل للثورة الشيوعية الماوية، داخلياً وخارجياً، والإعلان عن ان فكر ماو تسي تونغ، هو في مكانة متساوية مع الماركسية اللينينية[1].

بقيت الصين خلال الأعوام من 1966 – 1969 معزولة نسبياً عن العالم، بسبب عوامل عدة، من أبرزها العداء المستمر مع الغرب والاتحاد السوفيتي، فهناك القليل من النشاط الدبلوماسي، بسبب القوى الثورية على المستوى العالمي. ونتيجة لظهور الضغط السوفيتي على الحدود الصينية مرة أخرى اضطر ماو الى التفكير جدياً لوضع حد للثورة الثقافية في القضايا السياسية، ولتكوين نظام سياسي داخلي مستقر. فضلاً عن ذلك، العمل على حث العمال للتوجه الى أعمالهم، والقيام بزيادة الانتاج، وفتح المدارس والكليات، وتدريب (الأطباء) من جديد لخدمة الشعب الصيني في المناطق المتضررة، وانشاء التعاونيات الصحية، وإرجاع الأمور الى حالتها الطبيعية.

لم تكن إعادة تأسيس القانون والنظام بالمهمة اليسيرة والسهلة، إذ اطلقت الثورة الثقافية العنان لحصول توتر اجتماعي بين أولئك الذين شعروا انهم قد ظلموا في حقوقهم في التعليم أو نظام العمل، واولئك الذين انتفعوا من النظام[2].

وخلال الثورة الثقافية واجهت الطبقة الحاكمة مشكلتين جوهريتين، مثل كلاهما تحدياً كبيراً لاستراتيجية ماو في الحكم. **الأولى**: كانت مهمة إعادة بناء الحزب وأجهزة الدولة. فإعادة

---

[1] حسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، الصراع السياسي في الصين 1966–1976 (الثورة الثقافية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018، ص262–266.

[2] المصدر نفسه، ص258–259.

الثقة المهزوزة للمسؤولين الصغار الذين كانوا يديرون تلك الأجهزة كانت مهمة شديدة الصعوبة.

الاقتصاد: الاقتصاد، إذ كان واضحاً ان مدة طويلة من السياسات الاقتصادية الليبرالية كانت ضرورية لإصلاح الخراب الذي حدث خلال الأعوام القليلة التي انقضت، لاسيما ما حدث خلال كارثة (القفزة الكبرى الى الأمام). من جهة أخرى كان العلم والتقنية الصينيتين أكبر ضحايا الثورة. فخلال أربع سنوات لم يتخرج طالب واحد، بينما قضى معظم العلماء الصينيين تلك الأعوام ينظفون الشوارع ويزرعون الارز[1].

كان عام 1969 بمثابة إعادة تنظيم الجهاز الحكومي وإعادة بناء الحزب الذي دمرته الثورة الثقافية، وكان هذا انجاز سطحياً، لان مؤتمر الحزب التاسع أعاد بناء الحزب على مستوى القادة الكبار[2].

في عام 1970 عادت الثورة الثقافية من جديد، بمحاربة الأعضاء القدامى في الحزب الشيوعي الصيني، والقضاء على منافسي ماو في السلطة، من خلال معركة حادة وشاقة لتعبئة الجماهير والقوى الثورية في الحزب من اجل الدفاع عن إنجازات الثورة الثقافية، فكان لابد من استهداف وإزالة وتحييد قادة الحزب الكبار بهدف الحفاظ على الثورة. وقف لين بياو ورجاله العسكريين في مواجهة فريق جيانغ تشينغ في مؤتمر لوشان الذي عقد في 23 اب 1970، من اجل ضمان رئاسته للبلاد بعد وفاة ماو، وقد زاد تمسكه بمنصب الرئاسة بعد هذا المؤتمر، الامر الذي أدى الى اتخاذ ماو إجراءات لانهاء سلطة لين بياو ورفاقه[3].

خطط لين بياو لانقلاب عسكري ضد ماو تسي تونغ، الا انه فشل في ذلك وفي محاولة يائسة للفرار من الصين تعرض لين وزوجته وابنه الى حادث سقوط طائرته فوق منغوليا في 13 أيلول 1971[4]، وكانت العواقب السياسية للحادث حركة تطهير لكبار مساعدي لين بياو، وأزمة ثقة عامة، وعمليات إعادة تأهيل لبعض المسؤولين الذين تم اقصائهم خلال المعارك الأولى للثورة الثقافية[5].

---

[1] شارلي هور، الصين ثورة من؟، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، 1995، ص18.

[2] حسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، المصدر السابق، ص268.

[3] فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، القضاء على (عصابة الأربعة) في نهاية الثورة الثقافية (30 نيسان–24 تشرين الأول عام 1976)، حولية المنتدى، العدد 35، المجلد 1، المنتدى الوطني لابحاث الفكر والثقافة، 2018، ص109–110.

[4] لم يتم الكشف عن نبأ وفاة لين بياو رسمياً حتى عام 1972.

[5] ريتشارد كيرت كراوس، المصدر السابق، ص26.

ظهرت في أواخر كانون الاول عام 1973 حملة كبرى لانتقاد تعزيز الممارسات التعليمية التقليدية في الجامعات الصينية، وهذه الحملة مهدت الطريق لحركة سياسية كبرى، عرفت بـ حملة (بي لين، بي كونغ) أي (انتقاد لين، انتقاد كونفوشيوس) في 25 كانون الثاني 1974، اطلقتها جيانغ تشينغ وزعماء متطرفين اخرين، استمرت طوال العام، وهدفها الأساس توجيه الانتقاد الى تشو ان لاي الذي يمثل المنافس الرئيس لجيانغ تشينغ في خلافة ماو، وقد قامت جيانغ وزمرتها بدور فعال في هذه الحملة من خلال كتابة اعداد هائلة من المقالات النقدية حول الكونفوشيوسية عن طريق جامعة بكين وجامعة تشينغهوا التي تسيطر عليها جيانغ تشينغ واتباعها[1].

أدى سقوط قادة الجيش اليساريين بعد قضية لين بياو الى تدعيم مجموعتين، الأولى: الناشطون المدنيون الذين ارتبطوا بماو من خلال زوجته جيانغ تشينغ. اما المجموعة الثانية فتألفت من مسؤولين اكثر اعتدالاً بقيادة رئيس الوزراء شو ان لاي. وفي المؤتمر العام العاشر للحزب الشيوعي في عام 1973، حضر (4) من أعضاء اللجنة المركزية من ضحايا الثورة الثقافية ممن خضعوا لاعادة التأهيل وكان من ضمنهم دنج شياو بينج[2] الذي استدعي الى بكين كنائب لرئيس الوزراء، وعمل مع شو على تطوير برنامج التحديث. وفي عام 1975 اعيد دنج الى دائرة السلطة الداخلية؛ أي اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي، وقد وضع نصب عينيه صحة شو ان لاي المتدهورة والحاجة لبديل محنك لخلافته.

خلال هذه الفترة دعى رئيس الوزراء شو ان لاي لـ (التحديثات الأربعة) في مجالات الصناعة، والزراعة، والعلوم والتكنولوجيا، والدفاع الوطني. وقد كانت فصاحته البلاغية متماشية مع أجواء الثورة الثقافية، الا ان مضمون الدعوة اظهر النزعة العملية الاقتصادية لدنج شياو بينج والكوادر القديمة الأخرى التي اعيد تأهيلها[3].

تقاعد شو ان لاي أواخر كانون الأول 1975 بسبب مرضه، وتوفي في 8 كانون الثاني 1976، وكان رجل يحترمه الشعب جداً، فتم وضع أكاليل على تمثال بوسط بكين، وعندما

---

[1] فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، القضاء على (عصابة الأربعة) في نهاية الثورة الثقافية (30 نيسان–24 تشرين الأول عام 1976)، المصدر السابق، ص110–111.

[2] كان ثاني رجل في السلطة بعد ليو شاو شي، وكان محل انتقاد شديد لكونه اتخذ طريق الرأسمالية، لم ينظر له ماو نظرة شديدة الصرامة مما حال دون فصله من الحزب، ونفي نفي داخلي في اقليم دوانجشي.

[3] ريتشارد كيرت كراوس، المصدر السابق، ص26–27.

ازيلت هذه الاكاليل بامر من جيانغ تشينغ، عمت المظاهرات في ميدان السلام السماوي في 7 نيسان 1976، وعندما تحركت قوات الشرطة لتفريق المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بعودة الاكاليل اندلعت المعارك التي سرعان ما انتشرت في كل الميدان، اخذت اعداد المتظاهرين بالتزايد كلما تزايد عدد الشرطة والميليشيا، واستمر الشغب طوال اليوم، وحرقت فيه سيارات ومراكز الشرطة، وتحطيم متاريس وثكنات الميليشيات، وارغم الجنود على التراجع تحت وابل الحجارة، وتم انهاء الشغب اثناء الليل عندما ضربت الشرطة المئات المتبقية في الميدان حتى الموت، واعيد النظام تماماً، وحدثت انتفاضات مماثلة في مدن ومقاطعات أخرى. حمل دنج زياو بينج مسؤولية الشغب وتم خلعه في الحال، وبدأ قمع واسع النطاق قبض فيه على اكثر من (100) الف شخص من بكين وحدها[1].

بعد حادث ميدان السلام السماوي قام ماو بتعيين هوا قوه فنغ كنائب اول لرئيس الحزب في 30 نيسان 1976، الامر الذي أدى الى اهتزازات خطيرة في عمل جهاز الدولة، فذكر المكتب السياسي: "ئم لئه فك لب ئم هئ فنضعه غند فئخذ عكو فنئضعك ثذ اّ هئ ني هك (لئه)ئم ة سج جنئمعة خضعه ئئندب ثيت". وفي ضوء الاحداث الأخيرة تشكل ائتلاف في 21 حزيران 1976 بين المعتدلين والقادة العسكريين ضد اليساريين المتطرفين من اجل معالجة الوضع الداخلي المضطرب.

اما ماو فان اخر ظهور رسمي له في المؤتمر العاشر للحزب في 1976، واقتصر ظهوره مع كبار الشخصيات الأجنبية التي تزور الصين في مقر اقامته في القسم الامبراطوري القديم (المدينة المحرمة)، وبسبب سوء حالته الصحية التي أصبحت خطرة جداً اعلن الحزب المركزي رسمياً في 27 حزيران 1976 ان الرئيس ماو لم يعد قادراً على استقبال الزوار الأجانب. عندها امر وانغ هونغ ون وبشكل فوري مؤيدوه المتمردين في شنغهاي بتجهيزهم بالسلاح والذخيرة من اجل القيام بعمل عسكري مرتقب عند وفاة ماو.

كان عام 1976 عام شؤم على الصينيين، لتدهور الوضع السياسي، ووفاة رئيس الوزراء تشو ان لاي، والمارشال تشو دي احد مؤسسي جيش التحرير الشعبي الصيني، كما شهدت البلاد في 28 تموز 1976 اضخم زلزال في تاريخها حدث في شمال الصين بمنطقة تانغشان، بقوة 8.2 على مقياس ريختر، وادى الى كارثة كبيرة في البلاد، تسببت بوفاة ربع مليون شخص،

---

[1] شارلي هور، المصدر السابق، ص19.

وهذا الزلزال مكن هوا قوه فنغ من بناء هيبته بين الشعب من خلال تركيزه على اعمال الإغاثة. وساءت الأحوال الاقتصادية اكثر واصبح الهيكل السياسي اكثر هشاشة من أي وقت مضى، فقد كان لوجود ماو الدور الحيوي، ويحتفظ بهالة من السلطة السياسية، ولكن ساءت حالة ماو الصحية الامر الذي أدى الى وفاته في 9 أيلول 1976 عن عمر يناهز (82) عاماً، واعلن الحداد لمدة 10 أيام. وبعد ساعات من وفاته قررت جيانغ تشينغ من خلال عقد اجتماع المكتب السياسي طرد دنغ شياوبينغ من الحزب وهاجمت هوا قوه فنغ وقادة الحزب الشيوعيين الاخرين، في الوقت نفسه حذر هوا بان لديه قوة كبيرة متمثلة بجنرالات الجيش، مما أدى الى فشل جيانغ تشينغ في هذا الاجتماع[1].

أدت وفاة ماو مباشرة الى تداعيات كبيرة، وعدم استقرار في المؤسسات السياسية، وسببت الكثير من التغييرات الجذرية في الصين، فقد اصبح المجتمع الصيني اكثر تفككاً، وتراجع الإنتاج الصناعي، اذ اجتاحت المدن موجة من الإضرابات العمالية، والتباطؤ في التصنيع، والتغيب عن العمل بسبب الإحباط الذي اصابهم، كذلك استؤنفت الصراعات الحزبية القديمة في الثورة الثقافية، يرافقه زيادة في الجريمة والفوضى الاجتماعية، والصراعات السياسية المتجذرة بين النخب الحزبية التي تتسم بالمرارة والاقتتال الداخلي، فضلاً عن ان جيانغ تشينغ كانت معزولة سياسياً من قبل تحالف من القادة العسكريين والسياسيين الصينيين المعتدلين، وكثير منهم من الناجين من اضطهاد الحرس الأحمر. الا ان هوا قوه فنغ استطاع بدعم من جيش التحرير الشعبي الصيني، فضلاً عن الشرطة والحراس العسكريين القدامى الموالين للحزب الشيوعي الصيني في 6 تشرين الأول 1976 من القاء القبض على جيانغ تشيغ ومجموعتها (عصابة الأربعة)، وفي 10 تشرين الأول اختير هوا قوه فنغ رئيساً للحزب الشيوعي الصيني، وفي 24 تشرين الأول اعلن عن خبر اعتقال عصابة الأربعة، الامر الذي أدى الى إقامة الاحتفالات في كل مكان من جمهورية الصين الشعبية[2].

---

[1] فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، القضاء على (عصابة الأربعة) في نهاية الثورة الثقافية (30 نيسان–24 تشرين الأول عام 1976)، المصدر السابق، ص112–114.

[2] المصدر نفسه، ص117–123.

ك حنئز بك جئذج بكك سنك خلإك بم بنك ق ئغذ ب 1966-1976

حرصت الصين الشيوعية خارجياً على إنهاء العزلة الدبلوماسية التي فرضتها الثورة الثقافية، فبدأ إعادة السفراء الى بكين، وكبار الدبلوماسيين في 16 ايار 1969، فضلاً عن إرسال سفراء الى 29 دولة، لإصلاح علاقات الصين الدبلوماسية مع هذه الدول، وتأكيد نفوذها في الشؤون العالمية، ودعت بكين أيضاً مجموعة متنوعة لافته للنظر من المسؤولين الأجانب، ووفود من الخارج لمناقشة التجارة، والمساعدات، وتحسين العلاقات[1].

اما على صعيد العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، فمنذ عام 1964 تحول الصراع بين الصين والسوفييت من صراع اعلامي وعقائدي الى صراع عسكري على الحدود بين البلدين، اذ وقع اشتباك مسلح بين قوات البلدين في منطقة شنياو في 2 اذار 1969، وتجدد الامر ثانية في 15 من الشهر ذاته، ثم تجددت المناوشات في 5 اب 1969 حول منطقة شينجنيانغ، وكادت توي الى حرب بين البلدين لولا توصلهما الى اتفاق يقضي بترسيم الحدود في تلك المناطق عام 1974، وبالرغم من ذلك فان العلاقات بين البلدين لم تهدأ واستمرت القطيعة بينهما حتى وفاة ماو تسي تونغ وذلك لرغبة ماو في تزعم العالم الشيوعي[2].

بدأ يحصل انفراج في العلاقات الصينية الامريكية بعد تولي ريتشارد نيكسون الحكم في الولايات المتحدة عام 1968، وذلك لازدياد القوة العسكرية لماو المتمثلة بامتلاكه السلاح الذري، وزيادة مقبوليته لدى دول العالم، فضلاً عن اشتداد الصراع والمنافسة والخلاف بينه وبين الاتحاد السوفياتي، مما عزز لدى الولايات المتحدة فرصة كسبه الى جانبها وابعاده عن الاتحاد السوفيتي، لذلك طلب الرئيس نيكسون عام 1969 من مستشاره للامن القومي هنري كيسنجر ان يفتح قنوات للاتصال مع الصين الشعبية، ووافقت الصين على استئناف المحادثات بينهما. ويبدو ان الأسباب التي اقنعت الولايات المتحدة للتقارب مع الصين الشعبية هي ذاتها التي أدت بماو ان يوافق على التقارب مع الولايات المتحدة الامريكية والتي ابرزها كسب تأييدها مسألة الاعتراف بنظامه داخل الأمم المتحدة وكذلك ضمان وقوف الولايات المتحدة الى جانبه في خلافه مع الاتحاد السوفيتي. فاستأنفت المحادثات بين البلدين في وارسوا في 20 كانون الثاني عام 1970 واتفق الجانبان على فتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين والسعي

---

[1] حسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، المصدر السابق، ص268.

[2] سها عادل عثمان البياتي، المصدر السابق، ص198-199

لحل قضية تايوان بالوسائل السلمية، ومناقشة مسألة نزع السلاح النووي، والموافقة على الاقتراح الأمريكي القاضي بارسال ممثل خاص الى بكين لمناقشة المسائل المهمة بين الجانبين[1].

وفي 25 اب عام 1970 دعا ماو الى عقد اجتماع عاجل لأعضاء اللجنة الدائمة والمكتب السياسي، تم فيه تأييد السياسة الخارجية الجديدة التي صممها شو ان لاي، وأعلن البيان الرسمي الذي انبثق بعد اسبوعين من الاجتماع: [illegible]". وهذه هي المرة الأولى منذ أكثر من خمس سنوات سمع فيها هذه العبارة في الأماكن العامة[2].

توجت المباحثات الامريكية الصينية بزيارة كيسنجر السرية الى بكين في 9 تموز 1971 والتقى بشو ان لاي واتفقا على تطبيع العلاقات بين البلدين، والزيارة الثانية لكيسنجر كانت في 20 تموز 1971 ولكن كانت علنية هذه المرة. ونتيجة لتطبيع العلاقات الامريكية الصينية صوت في 25 تشرين الأول 1971 على القرار (2785) القاضي بقبول الصين الشعبية ممثل لكل الصين في الأمم المتحدة وإلغاء أوراق اعتماد جمهورية الصين الوطنية، واعترف الولايات المتحدة الامريكية بالصين الشعبية بعد ان زار الرئيس نيكسون بكين في 21 شباط 1972 من خلال اصدار بيان عرف ببيان شنغهاي مع الرئيس ماو تضمن اعتراف الولايات المتحدة بالصين الشعبية ونظامها كممثل لكل الصين وان تايوان هي جزء من الأراضي الصينية[3].

---

[1] سها عادل عثمان البياتي، المصدر السابق، ص209.

[2] حسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، المصدر السابق، ص281.

[3] سها عادل عثمان البياتي، المصدر السابق، ص 209-211.

ئلإزطئئجئ ة

نستنتج مما ذكر انفاً ان الثورة الثقافية قامت بايعاز من ماو تسي تونغ بعد ما لاح في افق الصين الشيوعية بوادر تغيير الى الرأسمالية من خلال المثقفين والأكاديميين والذين اغلبهم ذو انتماءات غربية بسبب الوافدين من خارج الصين ونقلهم لمبادئ وأفكار غربية او بسبب دراساتهم في الغرب او ميولهم الرأسمالية او بسبب تطور وتغير في افكارهم الشيوعية الاشتراكية.

ووجد ماو في الشباب خير من يعتمد عليهم من خارج الكوادر الحزبية والتي أراد تصفيتهم من خلال الثورة الثقافية التي وصفها بعض المؤرخين بانها لا تحمل من الثقافة شيء سوى اسمها.

الا ان الأمور خرجت عن السيطرة ولم يهدأ الحرس الأحمر حتى قضي عليهم من خلال جيش التحرير الشعبي الصيني.

ومن الواضح ان الأمور التي مرت بها الصين خلال الفترة 1966–1976 كان لها الأثر في تغير كثير من العقائد والمفاهيم التي كانت سائدة آنذاك، الامر الذي أدى الى نهوض الشعب والحكومة من اجل الإصلاح والتطور في المجالات كافة.

المصادر

1-حسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، الصراع السياسي في الصين 1966-1976 (الثورة الثقافية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018.

2-ريتشارد كيرت كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ترجمة شيماء طه الريدي، مراجعة محمد إبراهيم الجندي، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.

3-سها عادل عثمان البياتي، ماو تسي تونغ ودوره السياسي في الصين (1921-1976)، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2014.

4-شارلي هور، الصين ثورة من؟، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، 1995.

5-فاطمة جاسم خريجان، تدهور العلاقات السوفيتية-الصينية خلال الثورة الثقافية الصينية، اوروك للعلوم الإنسانية، العدد 2، المجلد 7، جامعة المثنى، 2014.

6-فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، القضاء على (عصابة الأربعة) في نهاية الثورة الثقافية (30 نيسان-24 تشرين الأول عام 1976)، حولية المنتدى، العدد 35، المجلد 1، المنتدى الوطني لابحاث الفكر والثقافة، 2018.

7-فرقد عباس قاسم المياحي وحسين عبد الكاظم عودة الحسيناوي، سعي ماو تسي تونغ لتنظيم إدارة جمهورية الصين الشعبية (ا كانون الثاني-كانون الأول عام 1969)، حولية المنتدى، الإصدار 35، المجلد 1، المنتدى الوطني لابحاث الفكر والثقافة، 2018.

8-موقع عين الجمهورية http://rep-eye.com/family/153